أركان تجديد البلاغة العربية عند علماء المغرب العربي - عبد الملك مرتاض نموذجا-

The Foundations of renewal of Arabic rhetoric among the scholars of the Arab Maghreb – Abdelmalek Mortad –sample-.

د. عمر بوقمرة
جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)
Dr.bouguemra@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/10/13 تاريخ المراجعة:2019/11/20 تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص:

ما زال علماء المغرب العربي يلقون بأقلامهم، ويبدون آراءهم في كل مجالات العلوم العربية؛ نحوها، وصرفها، وبلاغتها، وهلم جرّا؛ آمِّينَ تجديد الدرس العربي وتيسيره؛ مبطلين بذلك المقولة الضَّامر: "لم يترك المشرقي للمغربي شيئا". ولا يزال العالم العربي بشطريه يرتشف من جهود علماء المغرب العربي وفتوحاتهم المعرفية في القديم والحديث. وهذه المقالة نجتهد من خلالها في الوقوف على واحد من أعلام المغرب العربي في عصرنا؛ إنه الجِهْبَاذ: "عبد الملك مرتاض"، من خلال كتابه "نظرية البلاغة"، الذي بث فيه شذرات من التجديد، اجتهدت في التقاطها، وانتقاشها، ونظمها، تحت عنوان لطيف أسميته: أسس تجديد البلاغة العربية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية؛ البلاغة الجديدة، الأسس، التجديد؛ عبد الملك مرتاض.

Summary:

The scholars of the Arab Maghreb are still throwing their pens and participating in all fields of Arabic science; Grammar, morphology and rhetoric, and so on; aiming to renew and facilitate the Arab lesson; thus nullifying the hidden saying: " The scholars of the east arab have left nothing to the scholars of the Arab Maghreb to study ". The Arab world is still benefiting from the efforts of Arab Maghreb scholars and their researchs in ancient and modern. This article aims to stand on one of the greatest linguists of the Arab Maghreb in our time. He is "Abd al-Malik Murtad", through his book "The Theory of Rhetoric," in which he broadcast fragments of the innovation, which i tried to collect and arrange them under A nice title I called it: The Foundations of Renewal of Arabic Rhetoric.

Keywords: ***Arabic rhetoric; new rhetoric, fundamentals, renewal; Abdelmalek Murtad.***

1- مقدمة: (جمود البلاغة وضرورة التجديد): إن الجمود الذي شهدته البلاغة منذ عهد السكاكي حتى العصر الحديث جعلها مُخَيَّرة بين أمرين لا ثالث لهما، إما الاستيعاب، وإما التجاوز، أي عليها أن تستوعب العلوم الجديدة الوافدة عبر الترجمة والابتعاث، بعدِّها علما كليا يقتضى ضبطه والإحاطة به أي: الإحاطة بعلوم اللسان، وعلوم الإنسان المختلفة المكونة للذات المنتجة للخطاب حسب رأي حازم القرطاجني، أو تواجه حتمية التجاوز، وهذا الذي كان، فظهرت علوم أخرى بجانبها كالأسلوبية، وتحليل الخطاب، والحجاج وغيرها، عكس ما جرى في البلاغة الغربية الحديثة التي قامت على استيعاب البلاغة القديمة الإغريقية واللاتينية بالتنسيق والنقد والبناء.[1]

فمنذ أن ألف السكاكي كتابه "مفتاح العلوم"، جاعلا القسم الثالث منه في علم البلاغة، والدراسات البلاغية لا تبرح ساحته؛ ما جعل شكوى الجفاف عامة وحاجة التجديد هامّة، فالدعوة إلى التجديد ليست بدعا من البحث فمنذ القرن الثالث الهجري دعا ابن قتيبة إلى التجديد تاركا خلفه تلك المقولة المأثورة: "إن الله لم يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مقسوما بين عبادة في كل

دهر، وجعل كل قديم حديث في عصره"[2]، فهو نص صريح أن العلم ملك مشاع في الأزمنة والأمكنة والأقوام، غير مقتصر على زمن دون زمن، ولا وطن دون وطن، ولا قوم دون آخرين.

وقد تفطن أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي في القرن السادس الهجري(ت542هـ) إلى تقليد أهل مصره في عصره للمشارقة في كل صغيرة وكبيرة، على الرغم من كثرة ما جادت به قرائح أهل بلده في الأدب والشعر؛ - وعليهما تقاس بقية العلوم ومنها البلاغة العربية- فرفع الشكوى قائلا:"**...ونظم لو سمعه كثيِّر ما نسب ولا مدح، أو تتبعه جرول ما عوى ولا نبح؛ إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بالمشرق غراب، أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتابا محكما، وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مرمى القصية، ومُناخ الرذية،[3] لا يعمر به جنان ولا خَلَد، ولا يصرف فيه لسان ولا يد؛ فغاظني ذلك، و أنفت مما هنالك**".[4]

فليس العلم محصورا ومقصورا على عصر دون عصر، ولا مصر دون مصر، وكم تجرعت الأمة من ويلات يوم أن أعلنت سد باب الاجتهاد، فعكف الناس على متون الأولين يشرحون الشروح، ويلخصون التلخيصات، وقد رفعوا شعار: "**لم يترك المتقدم للمتأخر شيئا**"، وهو شعار يصلح للكسالى، وأصحاب الهمم الهزيلة، والعقول المرذولة، بل هو شعار جاهلي دعا إليه الشاعر الجاهلي امرؤ القيس حين قال:

هل غادرَ الشعراءُ مِن مُتردَّمِ أمْ هلْ عرفتَ الدارَ بعد توهمِ[5].

فصارت كلمة باقية في عقبه، والحق كم غادر الشعراء من متردم، وكم استدرك المتأخر على المتقدم، "وياليت شعري من قصر العلم على بعض الزمان، وخص أهل المشرق بالإحسان؟...والإحسان غير محصور، وليس الفضل على زمن بمقصور، وعزيز على الفضل أن ينكر تقدم به الزمن أو تأخر، ولحى الله قولهم: فضل للمتقدم، فكم دفن من إحسان، وأخمل من فلان، ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير، وذهب أدب غزير".[6]

2-المحاولات المصرية الفاشلة: لن أخوض في هذه النقطة كثيرا؛ فلست بصدد عرض تاريخي لمحاولات بعث البلاغة العربية وتجديدها، ولست بصدد تقييمها؛ لأن ذلك يتطلب منا جهدا أكبر، ووقتا أطول، ويكفي دلالة على فشل تلك المحاولات أنها لم تثمر، ولم تؤت أكلها، وقد طال الحين، ومازلنا نسمع الشكوى من جفاف علم البلاغة، وضعف طلبتها في التذوق، والخطابة، والنقد، ولست هنا مدّعيا بل الواقع شاهد على ذلك؛ فأهم محاولات تجديد البلاغة في العصر الحديث هما:

2-1- محاولة أحمد الشايب: من خلال كتابه" **الأسلوب دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية**"؛ الذي صدر عام 1939م،[7] وقد انتُقِدت تلك المحاولة بأنها مجرد إضافة للدراسات الأدبية أكثر منها للبلاغية، وأنها لا ترقى لسلم التجديد بالمعنى الحقيقي، "وعلى العموم فإن كتاب الأسلوب كان محاولة طيبة من الأستاذ الشايب-رحمه الله- لتطوير البلاغة، وهو وإن لم يُفد إفادة جازمة في الناحية البلاغية، فإنه قد أضاف –بلا شك- رصيدا طيبا إلى الدراسات الأدبية في العصر الحديث، وكما يقولون: من أخطأ فله أجر، ومن أصاب فله

أجران".[8] والمتأمل للعبارة الأخيرة يلفيها نقدا لاذعا، ولكنه مبطّن ومؤدّب، ولازمه أن الرجل أبعد النجعة في موضوع البحث؛ فأني له التجديد في البلاغة، ومع ذلك يحسب له فضل السبق إلى فتح باب الاجتهاد في تجديد العلوم العربية، وبالأخص البلاغة العربية؛ لأن ذلك يقتضي شجاعة أدبية زائدة في زمن قلّ فيه المجتهدون، وكثر فيه المقلدون.

2-2- محاولة أمين الخولي: من خلال كتابه: **" فن القول"** الذي صدر عام 1947م، " وهو على جدته وطرافته، منهج نظري قاصر، وتحتاج كثير من مباحثه إلى الإيضاح والتطبيق، حتى لكأن الخطة فهرس لعناوين كلية وجزئية... إن هذا المنهج على قصوره واقتصاره على الناحية النظرية جدير بالعناية والتطبيق"[9]، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث حتى الآن(2017م)، وقد مضى عليها سبعون عاما من الزمان؛ وما ذلك في تقديرنا إلا أنها كسابقتها مجرد اقتراح نظري أُوكِل تطبيقه إلى أجيال مُفترضة؛ من المهتمين بالبلاغة من المفكرين والنفسانيين، وتنصل هو من ذلك؛ فقال: "وليَ من الثقة بمعونة أصحاب الدراسة النفسية ما يطمئنني على تحقيق هذا الرجاء"[10]، فلم يتحقق الرجاء، ولن يتحقق، ولو فعل كما فعل عبد القاهر الجرجاني، وقدم نماذج تطبيقية لمشروعه التجديدي، ثم قال لمن بعده انحو هذا النحو؛ لرجونا أن يتحقق الرجاء.

هذا هو مآل أجرأ محاولتين في تجديد البلاغة، وقد رأيتَ كيف باءتا بالفشل، وكان يكفيني الادعّاء فالواقع يصدقني، ولكن آثرت هذه النتف؛ لأن كثيرا من القراء(الباحثين) ليس له القدرة على استخلاص تلك النتيجة على قربها وسهولة اجتنائها، فرَيْن التقليد قد رَانَ على الأذهان، فلا تؤمن إلا بما ينقل ويكتب؛ فلبيت الطلب.

3- **اتجاهات تجديد الدرس البلاغي:** إن المَرَام من الإشارة العَجْلَى إلى محاولات التجديد وفشلها، هو الوقوف على اتجاهات تجديد البلاغة التي يمكن استقراؤها؛ حتى يتهيأ لنا الحكم على أي محاولة، ووضعها في إطارها الصحيح، وصنفها الأنسب، وقد بدا لي أن اتجاهات تجديد البلاغة العربية ثلاثة، وهي:

3-1- الاتجاه السلفي: وهو اتجاه بعثي إحيائي، إذ ينطلق من بلاغتنا العربية، التي ورثناها عن الجرجاني، والسكاكي، والقزويني، ومن تبعهم، ويشترط أصحاب هذا الاتجاه في التجديد أن يكون ذاتيا، بمعنى أن يكون نابعا من روح المجتمع وثقافته، لصيقا بفطرته وذوقه، فمثلا يكاد يجمع البلاغيون أن ازدهار البلاغة كان على يد عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) وفي عصره، فيسعون جاهدين إلى تمثل منهجه الذي سنه في "دلائل الإعجاز"، ويكادون يجمعون أن السكاكي هو من دمغ البلاغة بالمنطق فيحاولون التخلص منه، أو الاجتهاد في استخراج مناهج العرب في صناعة الفصاحة قديما وتمثلها، و هكذا.

3-2- **الاتجاه التوفيقي:** ويسعي أصحابه إلى التلفيق والتوفيق بين البلاغة العربية القديمة، وبين الدراسات الغربية البلاغية الحديثة، قناعة منهم أنه من الخير الجمع بين ما يصلح من التراث البلاغي العربي، وبين ما يصلح من بلاغة الغرب، وأن التعايش الإيجابي بين القديم والحديث أكثر نِتاجا وأقوى أثرا.

3-3- الاتجاه الانقلابي: وهو دعوة صريحة وجريئة لتجاوز القديم جملة واحدة، فالتجديد عند هؤلاء هو إلغاء الكتب البلاغية القديمة، واستبدالها بكتب جديدة تقوم على مناهج حديثة، حالهم كمن يدعو أحدا إلى هدم بيته واعدا إياه ببيت جديد وجميل، وفي انتظار ذلك عليه أن يفترش الأرض ويلتحف السماء، وقد لا يحدث

شيء من ذلك فيتحول إلى لاجئ بلاغي، لأني أعتقد أن أصحاب هذا الاتجاه يريدون استبدال البلاغة العربية بالبلاغة الغربية[11]، ولكن بطريقة ذكية، فهم يعلمون أن من وسمهم سلامة موسى بالسلفيين الذين ما برحوا يؤلفون عن خالد بن الوليد وحسان بن ثابت[12]، سيقفون لهم بالمرصاد ويؤججون عليهم نيران غضب الشعوب البدائية، التي مازالت تمتهن الزراعة وتنفر من الصناعة والمدنية[13]، حسب زعمهم، وهذا من التدرج والاحتيال على الرَّعاع الهَمَج في زعمهم[14].

4- محاولة مرتاض وموقعها من أصناف التجديد: لاشك عند كل من له انتماء حضاري صادق، - ولا أريد أن أقول شيئا آخر- أن الاتجاه الثالث غير معتمد عندنا، ولا يمكن أن يكون تجديدا، لأن الاستبدال لا يكون تجديدا لا في اللغة ولا في الاصطلاح، ولا عند الخلق الصِّحاح، وإنما هو تبديد وتهديم في عباءة التجديد، ولا يتشابه إلا على من تشابه عليه ضياء النهار بظلمة الليل، وإنما التجديد في الاتجاهين الأولين، وفيهما يجري البحث والاجتهاد، وتجديد عبد الملك مرتاض يندرج ضمن الاتجاه الثاني من اتجاهات التجديد، أي الاتجاه التوفيقي، الذي لا يتنكر للقديم، ولا يدبر عن الحديث، بل يجتهد في المزج بينهما، لأن فلسفة الحياة تقتضي أن لا يتنكر الإنسان لماضيه، ولا أن يغمض عينية عما جدَّ فيه، ويبدو أن هذا هو منهجه في كل العلوم، ومنها علم البلاغة؛ وحتى أكون أمينا يجب أن أعترف أن هذا البحث يعتمد على كتابه الموسوم ب: **"نظرية البلاغة- متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا"**؛ الصادر عن دار القدس العربي في طبعته الثانية عام 2010م.

وقد استهل الكتاب بسؤالات قديمة جديدة، لازالت تطرح منذ عصر السكاكي إلى يومنا هذا، في المغرب العربي ومشرقه، من قبيل: ما البلاغة؟ وما الغايات التي لا تبرح تسعى إلى تحقيقها؟ أهي وصفية مجردة؟ أم هي جمالية فنية؟ ولم كلِف العلماء منذ أبي عثمان الجاحظ، ومِن بعده بقليل، عبد الله بن المعتز: بمعْيَرَة البلاغة في قواعدَ محنطة، وقوانين مجمدة، لا تكاد تعدو إلى سَوائها؟ وهلاّ ترك الدارسون الحرية للناس في أن يتمثّلوا هذه البلاغة انطلاقا من نصوصها الكلية الرفيعة النسج، لا من نصوصها الجزئية التي تنتزع منها انتزاعا مُبَسْترا؛ فتيتَّم تيتيما، وتؤيم تأييما؟ وماذا كانت الحكمة لدى الدارسين في الإيلاع بالاستشهاد بنصوص منفصلة عن أسيقتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية؟[15]

هي سؤالات مكرورة، تطرح نفسها بإلحاح على كل دارس للبلاغة العربية، ناهيك عن كل ناقد يحمل هم النقد البناء، بعيدا عن داء التقليد الأعمى، وإكراهات الحجة القرشية ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[16]، مثل عبد الملك مرتاض؛ الذي كان جريئا في أسئلته؛ المحرجة، والمستفزة، والقاسية أحيانا، لكنها صراحة ناقد، وصيحة نذير، هل انتهى عصر البلاغة وجاء عصر اللابلاغة حقا؟ أي هل انتهت العناية بجمالية الأسلبة، والإيلاع بالزخرفة، فشُيِعا إلى مثواهما الأخير تشييعا حزينا، وجاء عصر العِيِّ والفَهاهَة، والحَصَر والرَّكاكَة، حتى لا يكاد أحد يفهم أحدا، وحتى لا يكاد المتحدث يعبر عن أغراضه بلغة جميلة النسج، سليمة السبك، صحيحة المخرج؟ وحتى أطلق لقب الأديب على كل من هبّ ودبّ، وربما على من لم يكتب صفحة واحدة من رفيع الأدب، وهل كتب الأولون أحسن الله إليهم، وأجزل لهم المثوبة، في البلاغة إلا طمعا في تقويم اللسان، وتمييز الكلام البليغ من الوضيع؟[17]

تلك أمور أجبرت مرتاضا ومن على شاكلته في البحث فيها، والاجتهاد بالمعنى الصحيح الذي يجافي التقليد، ولَوْك ما قاله الأولون، "ولو جئنا شيئا من ذلك في كتابنا هذا لما كنا أتينا بجديد... وكيف نأتي ذلك، ونحن ننادي في هذا الكتاب بضرورة إعادة النظر في مفهوم البلاغة، بتغيير مناهج التعليم العربي البدائية؛ التي لاتزال تعلم الناشئة على طريقة عهود الانحطاط ليس إلا؟[18] إننا ندعو إلى تقرير نصوص أدبية رفيعة في برامج تعليم البلاغة، تكون منوالا لطالب البلاغة ينسج عليه؛ حين يخطب أو يكتب، لا أن يلقنوا قواعد جافة؛ ترتكز على شواهد مبتوتة عن سياقاتها الكلية، والنتيجة حشو ذهن المتعلم بقواعد محنطة، شبيهة بقواعد النحو الصفراء على حدّ وصفه؛ والتحنيط والاصفرار متأتيان من عدم توظيف تلك القواعد في استعمالاتنا اللغوية اليومية على المستويين المنطوق والمكتوب.[19]

تلك أمّ المسائل البلاغية التي تؤرق البلاغيين والنقاد في العصر الحديث، إذ هناك انفصام معرفي وتوظيفي ظاهر بين قواعد وشواهد قد نقشت في الأذهان، وبين ممارسات لا تلتزم تلك القواعد في ممارستها اللسانية الكلامية؛ وذلك يؤثر يقينا على الأداء الجيد لوظيفة اللغة الأم، وهي التبليغ والتعبير عن الأغراض الكامنة في نفس مستعمل اللغة، ناهيك عن إيصال المعنى إلى قلب السامع في أحسن صورة وأفصحها، ولا يكون ذلك إلا إذا روعي المقام، مع فصاحة الألفاظ على المستويين الإفرادي والتركيبي[20]؛ ولو توقف القارئ لكتاب مرتاض عند الاستهلال؛ فصنفه ضمن دعاة الاتجاه السلفي الإحيائي لما كان ملوما؛ لأنه وللحظة لم نشتم منه رائحة الثورة على القاعدة البلاغية، أو الدعوة إلى تجاوزها، بل إن ذلك لم يلمس منه ألبته بين دفتي هذا السِّفْر، وغاية ما يدعو إليه هو تجاوز تلك الشواهد الشعرية والنثرية المبسترة على حد قوله؛ وعليها بنيت قواعد محنطة أيضا؛ ويعني بالمبسترة المعقمة المحنطة التي لم يعد لها أثر في بناء الملكة التواصلية لدي طالب البلاغة، فمهما استوعب من القواعد، وحفظ من الشواهد فهي ليست أهلا لتكوين المتكلم البليغ، وإن كونت جيوشا من البلاغيين، ففرق بين من أوتي جوامع الكلم، وهو البليغ، وبين من أوتي حفظ القواعد النظرية وهو البلاغي، فصار الحال كمن يمتلك رخصة السياقة، ويحفظ قواعدها عن ظهر قلب، ولكنه إذا دعي إلى الممارسة ارتعشت يداه، واصطكت ركبتاه، وعجز عن القيادة، بخلاف من مارس السياقة فعلا، وإن لم يحفظ قواعدها، ولا عرف مصطلحاتها، ومع ذلك هو يتقن القيادة.

ولكن الوقوف على محتوى الكتاب كله، أو على الأقل تصفح فهرس المحتويات؛ يجد فصلا كاملا قد حمل عنوانا تجديديا، وهو الفصل السادس، والذي وسم بـ:" البلاغة الجديدة"، وهذا لا يعني أن الفصول الأخرى لا بذرة تجديد فيها، ولكني آثرت الاستدلال بأقواها، وأوضحها، وأقربها، على توفيقية المنهج التجديدي عند مرتاض، مرجئا التفصيل فيها جميعا لما يأتي من صلب البحث.[21]

5- أسس التجديد عند مرتاض: لم يسمّ مرتاض أسسا ومبادئ للتجديد في كتابه، ولكننا كطلبة باحثين في هذا المجال، اجتهدنا في استخراج وانتقاش ما نراه كذلك؛ فما نحن وهو إلا كما قال المتنبي واصفا حاله مع شرَّاح قصائده:

أنامُ مِلْءَ جُفُوني عنْ شَوَارِدِها ويسهرُ القومُ جرَّاهَا ويختصِمُ.[22]

ولذلك نستسمح الدكتور مرتاضا، ونستسمح القارئ الناقد لهذه المقالة؛ إن عثر فيها على ما يستحق الخصومة العلمية الرصينة، فإننا نقبلها ونقارب ونسدد فيها، كما قاربنا وسددنا في الفهم والاستنباط.

1-5- إعادة دمج النحو والبلاغة: الحقيقة أن هذا الأساس كان مطلبا لعبد القاهر الجرجاني وغيرة من البلاغيين، ولكنه لم يتحقق لحد الآن، وقد أشاد مرتاض بصنيع عبد القاهر الجرجاني ومن بعده الزمخشري، ومَن قبلهما من العلماء؛ فقال:" وحسبنا أن نذكر علمين كبيرين من أعلام الفكر اللغوي والبلاغي والنحوي جميعا، وهما عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: "دلائل الإعجاز"، و "أسرار البلاغة"، وجار الله محمود الزمخشري في تفسير الكشاف، فقد استطاع هذان العلمان الشامخان [23] بين التطبيقات والتنظيرات البلاغية والنحوية معا في براعة فاقا بها كل الذين جاءوا بعدهما، ولا نتحدث عمن كانوا قبلهما...". [24]

وكان عبد القاهر الجرجاني قد أكد على هذه العلاقة، وهناك أقوال كثيرة تصلح للاستشهاد في هذا الموضع (علاقة النحو بعلم المعاني)، بل كتاب الدلائل كله شاهد عليه. [25] وأسس نظرية النظم التي استقاها الباحثون المحدثون من دلائله تصب في هذا المجرى، ولكن أوضح قول على هذه العلاقة [26]، هو تعريفه للنظم بقوله: "**اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت - فلا تزيغ عنها-، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، وينظر في الخبر إلى الوجوه التي نراها في قولك: "زيد منطلق"، و"زيد ينطلق"، و"ينطلق زيد"، و"زيد هو المنطلق"، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجتِ خرجتُ، وإن تخرج فأنا خارج، و أنا إن خرجتَ خارج...".** [27]

فعبد القاهر الجرجاني في هذا النص النفيس يعرض لمواضعَ صارت من بعدُ أبوابا في "علم المعاني"؛ مشيرا فيه إلى أمر هو غاية في الأهمية، وهو أن معاني النحو (النظم) لا تقف عند حدود الجملة، بل تتجاوزها إلى النص كاملا أو مجموعة من الجمل، و بذلك يكون قد سبق علماء اللغة المحدثين الذين تجاوزوا حدود الجملة بالتحليل ليشمل علاقة الجمل ببعضها، وهو ما عرف بـ"علم اللغة النصي"، أو علم لغة النصوص Text linguistics بما يزيد عن تسعة قرون. [28]

ولكن ذهبت صرخة الجرجاني أدراج الرياح، وجرت سفينة البلاغة بما لا يشتهي الملاح، فجاء البلاغيون من بعده؛ فأخذوا " الأمثلة التي ضربها عبد القاهر الجرجاني، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة سموه:" علم المعاني"، وفصلوه عن النحو فصلا أزهق روح الفكرة، وذهب بنورها، وقد كان أبو بكر يبدي ويعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم:" المعاني"، وبتروا الاسم هذا البتر المضلل". [29]

وإن الباحث ليعجب عندما يجد حديثا مقتضبا من مرتاض حول هذه القضية؛ مع أنها غاية في الأهمية، وقد آتت أكلها في الدراسات التطبيقية باعترافه، فالجرجاني " لم يفتأ يلح على ثبوت العلاقة بين النحو والبلاغة في كتاباته، من حيث برع الزمخشري في ذلك براعة فائقة لدى تأليفه " تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، فكان يزاوج بين الأدوات النحوية، والإجراءات البلاغية في احترافية مدهشة". [30]

وما يحسب لمرتاض هو تأكيده لهذه العلاقة المبتوتة، والمنسية، والدعوة بطريق الإشارة والتلميح إلى استردادها، وإعادة بنائها من جديد، مع الإشارة إلى أبرع نموذج تطبيقي لهذه العلاقة، وهو تفسير الزمخشري، فالبلاغة علم عربي أصيل يمد ذراع القربى والمودة لعلم النحو؛ ليشكلا معا مرجعية قانونية لازالت لغة الضاد تخضع لها، وتُخضع الناطقين بها له، وتلك حقيقة واضحة؛ ومصادمتها تقتضى إزهاق روح البلاغة العربية؛ والذهاب برونقها، وهو الماثل أمام الأعين منذ أمد بعيد.

5-2- ترك هجران كتاب البلاغة الأكبر: يظن كثير من الناس أن شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم من هجران القرآن والإعراض عنه تقتصر على عدم الإيمان به بالنسبة للمشركين الأولين والآخرين، وعدم العمل به بالنسبة للمسلمين، والحق أن الهجران أوسع من ذلك بحيث يستغرق الأشخاص والأفعال في الزمان والمكان، وقد ورد في تفسير ابن كثير لقوله تعالى:﴿ٱلرَّسُولُوَقَالَ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[31] ، قال:" وكانوا إذا تلي عليهم أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، وهذا من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، **والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو، أو كلام، أو طريقة مأخوذة من غيره من هجر انه**".[32]

ولست هنا بإزاء بيان الهجران الديني من العقائد إلى العبادات إلى الأخلاق والمعاملات، وإنما بصدد الكشف عن الهجران اللغوي، وهو الزهد في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والاستقلال بالدراسات اللغوية عن الدراسات القرآنية عموما، وبالدراسات البلاغية عن الإعجاز والدراسات القرآنية خصوصا، فمنذ أن ألف السكاكي (526هـ) كتابه "مفتاح العلوم"، حيث صاغ ما ورد عن الجرجاني والزمخشري - مستعينا باختصار الفخر الرازي- بطريقة منطقية خالصة، وكانت العناية كل العناية موجهة إلى الصنعة البلاغية، بعيدا عن الشواهد القرآنية، فكانت النتيجة أن جمدت البلاغة، وأزهقت روحها، وتحولت إلى جملة من القواعد الجاهزة الجافة.

وهكذا أخذت قضية الإعجاز تنحصر تدريجيا في الشروح والمختصرات والحواشي، التي كانت تدور كلها حول مفتاح السكاكي، إلى أن انزوت في كتب علوم القرآن والتفسير؛ مؤذنة ببداية مرحلة من مراحل البلاغة لم يجد لها النقاد وصفا أنسب من لفظ الجمود، الذي لازمها في الزمان من ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر، وفي المكان من الخليج إلى المحيط[33]. إنا نعتب على المتأخرين تلمسهم أسرار البيان العربي في جيّد الشعر والنثر من كلام البلغاء دون **القرآن الكريم وهو كتابها الأكبر**؛ الذي لا يمكن تذوق العربية من دونه[34].

أوليس من العجب أن يكون القرآن الكريم هو نقطة البداية لحضارة إسلامية كبرى[35]، بعلومها المختلفة، حتى إذا استوت تلك العلوم، وقامت على سوقها؛ تنكرت له وراحت تبحث عن عزتها، وتمكنها من النفوس في غيره، " فلم يفكر أحد من البلاغيين في تأليف كتاب، إذا استثنينا عبد الله بن المعتز في كتابه

"البديع"، في قواعد البلاغة بمعزل عن التعرض للنص القرآني في إعجازيته".[36] ولكن صار قليل من يفكر في إعادة ربط البلاغة بمعينها الذي لا ينضب، وكتابها الأكبر المجرب.

وعبد الملك مرتاض قد عقد فصلا أسماه :" أثر القرآن في تأسيس نظرية البلاغة"؛ ومن عناوينه الفرعية أثر قضية الإعجاز في نشأة البلاغة، تعرض فيه لإسهامات علماء الإعجاز في التأسيس للدرس البلاغي[37]، وتلك إشارة بطريق الإشارة إلى الصدع الحاصل بين الدرس البلاغي الحديث، وبين كتابه الأكبر القرآن الكريم، وأثر ذلك علي بناء الملكة البلاغية عند طلبة العربية، ناهيك عن عامة أهل العربية، ودعوة خفية لإعادة اللحمة من جديد، وإن أرغت دليلا على ذلك فسل أساتذتها ودكاترتها عن نصيبهم من كتاب الله حفظا وتمثلا يأتيك الخبر اليقين.

والقارئ لما رقمت للحظة يشرع له الاستفسار الإنكاري التالي: فلم صنفته ضمن التيار التجديدي التوفيقي؟ فأقول له صدقت، لو توقف البحث عند هذا الحد لكنت قد جانبت الصواب، وحالفت الخراب، فلا أحد ينكر أن هذين المبدأين لا يمدّان بصلة للاتجاه التوفيقي، بل هما يقينا يسبحان في الاتجاه الإحيائي، ولكن رويدك فعما قريب ينقشع الرّين، ويزول الظن.

5-3- **رفد الدرس البلاغي بالنظريات الغربية اللسانية والبلاغية:** هو عنوان كبير يصلح لتسويد مئات الصفحات، و إلى سواد الليالي وبياض الأيام المتتاليات، ولكن حسبنا الإشارة، والتغرير بالقارئ تارة بعد تارة، ليس خداعا، ولكن تحفيزا وإثارة، وما لا يدرك كله لا يترك جله، يل يظعن الباحث ويقيم مع بعض مسائله؛ ليهتدي بها في غيرها قياسا واستنباطا؛ وليكون ذلك حاديا لأرواح الباحثين، وهذا ما فعله مرتاض ودعا إليه؛ فقال:" وإن الذي نود أن نختم به هذه الكلمة التقديمية لهو تكرار دعوتنا الباحثين الشباب إلى التصدي لهذا الموضوع من أجل تعميق معالجة قضاياه اللطيفة...".[38]

ولعل في اختيار كلمة التصدي في هذا المقام لطيفة بلاغية توحي بصعوبة الموضوع، وشدة الخصومة فيه بين اتجاهات ومذاهب شتى، خاصة بين مذهب الإحياء وبين مذهب الانقلاب؛ اللذين تموقع بينهما مرتاض، أملا في رأب الصدع، وإصلاح ذات البين، وإن كنا نرى أن البينونة الكبرى قد وقعت، وأن التناكح (بمعناه لغة) لن يقع أبدا.

إن الاستدلال لهذا الأصل عند مرتاض ينبعث من الفصل الثالث، والذي وسم ب" الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية"، وكان مما قرّره فيه بعد أمّة من التفكير:" أن بعض المفاهيم السيميائية المعاصرة، هي فعلا كانت في أصلها بلاغية، خالصة البلاغية، بحيث نجد مثلا، ما كان يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني..."معنى المعنى" في مصطلحات البلاغة، وهو أول من أسسه في المفاهيم البلاغية، في القرن الخامس للهجرة، فيما نعلم، ليس إلا البراقماتية (La Pragmatic , Pragmatique)، أو التداولية، التي تعني من بين ما تعنيه في مفهومها السيميائي المعقد، الذي لايزال غير واضح المعالم في أذهان العوام، المعنى "المسكوت عنه".[39]

وما كان يعرف بالبديع والمعاني في البلاغة العربية ليس في نظر مرتاض إلا الأسلوبية (La stylistique) بالمصطلح الجديد، كما أن ما كان يطلق عليه مصطلح العدول في البلاغة العربية ليس إلا الانزياح (l' écart) في المصطلح السيميائي الحديث، وهلم جرا.[40]

وهذا البحث لا يتسع لفحص واختبار مدى صحة وصدق الدعاوى العريضة التي أطلقها مرتاض، فليس الغرض من البحث الدندنة حول هذه القضايا، وإني لأجزم بأن كل قضية منها لو استقلت بالبحث لنالت مقالا كَرِيًّا تاما، فلئن تسامحنا في المطابقة الدلالية (الترادف) بين العدول والانزياح، كمصطلحين وليدين لبيئتين ثقافيتين مختلفين لأسلوب لغوي واحد لا أظن لغة بشرية تخلو منه، فليس هينا على النفوس التي خلعت جلباب التقليد، وأبت إلا أن تلقي بحبلها ودلوها في بئر البحث آخذة عليها عهد تفتيش وتقميش الأدلة؛ مهما علت منزلة قائليها، وتقدمت أقدام صدقهم في البحث، أن تذعن لنظرية الترادف بين البديع والمعاني في البلاغة العربية القديمة من جهة، والأسلوبية من جهة أخرى.

وبنظرة عجلى يدرك الناظر غياب البيان في هذه النظرية؛ وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة، وهو يتقدم في الرتبة والمنزلة على علم البديع، وهو أقرب في تقديرنا للأسلوبية من البديع ومن المعاني نفسه، انطلاقا من تعريفه بأنه:" علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[41]، ويمكن للمستبصر أن يقف على مفاهيم هذه المصطلحات عند أهل الاختصاص؛ ليدرك مقدار التجانف والتآلف بينها، وأيها أقرب إلى بعضها من بعض.

وحتى مصطلح " معنى المعنى" الذي أسسه الجرجاني في القرن الخامس الهجري، لا يمكن أن يكون صِنْوَ مصطلح "البراقماتية"، أو "التداولية" في الدلالة؛ وليزداد الأمر بيانا سنقف وقفة سَرْعَى عند صنيع الجرجاني، الذي قسم الكلام على ضربين: "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية، تصل بها إلى الغرض، ومدار ذلك على الكناية، والاستعارة، والتمثيل"[42]؛ فالقسم الأول هو المعنى الحقيقي، ويتوصل إليه بالدلالة المعجمية للفظ، والقسم الثاني هو المعنى المجازي، وهو معنى المعنى عند الجرجاني، ولا يتوصل فيه باللفظ إلى المعنى؛ لأن المعنى المعجمي غير مراد، وإنما يتخذ مطيه للعبور إلى المعنى الثاني (معنى المعنى)؛ ويتم ذلك بالاستدلال العقلي[43]، وهو ما عبر عنه الجرجاني بقوله:" أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر".[44]

وقد مثل لذلك بعبارات من قبيل: "هو كثير رماد القدر"، و" طويل النجاد"، وهي "نؤوم الضحى"، ففي هذه العبارات وما يضاهيها لا يراد المعنى الظاهر من اللفظ، ولكنه يدلك على ما يستلزمه ويوجبه ذلك المعنى، وهو المعنى الثاني؛ الذي سبيله الاستدلال، وهو المعنى القصود للمتكلم، وينبغي على المستقبل أن يصل إليه، فالمعنى المراد من العبارة الأولى أنه مضياف، ومن الثانية أنه طويل القامة، ومن الثالثة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها.[45]

و في هذه الحال يصير المستقبِل أمام وضع لغوي معقد، يتطلب منه نباهة وفطنة زائدتين، إنه لم يعد أمام دال ومدلول كما هو الشائع والأصل، وإنما صار إزّاء دال ومدلولين؛ أحدهما حقيقي غير مراد، وإنما اتخذ سخرِيا للثاني، وهو مجازي وهو المراد، ففي عبارة: "هو كثير رماد القدر" (الدال) مثلا، معناها الظاهر الأول(الحقيقي) هو كثير الطبخ، ولكن هذا المعنى غير مراد للمتكلم، وإنما جعل مطيّة للوصول إلى المعنى الثاني (المجازي)، الذي هو كثرة الكرم وهو المراد.

ومما يجب بيانه وإحكامه بعقب هذه الوقفة، إنصافا للبحث العلمي أولا، وللرجل ثانيا؛ أقول لسنا ننكر عليه وجود أوجه للتشابه والتقارب بين هذه المصطلحات العربية القديمة، وبين تلك المصطلحات الغربية الحديثة، وإنما الذي ننكره هو الادّعاء بأنها هي نفسها بالتمام والكمال ولا فرق، خاصة وقد وظف في إثبات هذه الدعاوي أقوى أساليب الحصر، وهو النفي والاستثناء "ليس.....إلا "[46].

فلا يمكن التسليم مثلا بأن " معنى المعنى" الذي بحثه الجرجاني هو عينه "التداولية" الغربية، أو هو "المعنى المسكوت عنه" كما ذهب مرتاض؛ نعم يمكن القول بأنه من صميم البحث التداولي، أو من المعنى المسكوت عنه، لكن أن يقال هو التداولية نفسها أرى أنه مغامرة بحثية؛ وادّعاء لا يقوى صاحبه على إقامة البينة عليه ولو أجهد نفسه في ذلك؛ كيف والتداولية "تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيها توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى، كما أنه ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة..."[47].

فالاستعمال اللغوي لم يفرق بين المعني الحقيقي والمعنى المجازي (معنى المعنى)، بل هما شطراه، وجناحاه، وعليهما يقوم، كما لا أظن أنه قد خطر ببال عبد القاهر الجرجاني وهو يبحث معنى المعنى بعدّة أحد جوانب المعنى المجازي ليس له وحدات للتحليل، والحقيقة الثالثة أن مباحث التداولية وقضاياها غير مترابطة ولا متراصفة؛ لأنها تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة؛ فهي بذلك تمثل مركز تلاق وتلاقح لمجالات العلوم ذات الصلة باللغة؛ ومن هنا بطلت دعوى التماهي بين التداولية ومعنى المعنى في التراث البلاغي العربي.

6- البلاغة الجديدة عند مرتاض خيبة أمل:

الخطابة الجديدة (The new rhetoric) (La nouvelle rhetorique)، - ولها ترجمات أخرى مثل: البلاغة المعاصرة، والبلاغة الحديثة، والبلاغة الجديدة- مصطلح أطلقه شايم بيرلمان(Chaim perleman) مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين (عام 1958م) على دراسة تعالج موضوع الحجاج (L'argumentation)، بعدِّه خطابة تهدف إلى استمالة المتلقي والتأثير عليه فكرا وسلوكا[48]. "ويعد شايم بيرلمان من فلاسفة القانون والقضاء الذين سعوا إلى إحياء البلاغة القديمة بقراءة جديدة قائمة أساسا على الحجاج"[49].

ومما يلاحظ على أبحاثه اتساعها وتفرعها مما صعَّب الإحاطة بها، حتى من قبل المختصين الفرنسيين بسبب صعوبة الأسلوب، والنهج غير البيداغوجي فيما طرحه من قضايا[50]. والغريب في الأمر أن ظروف التقائه بالبلاغة الأرسطية في مقدمة كتابه " إمبراطورية البلاغة "جاء بطريقة غير متوقعة، حيث كان يبحث مع زميلته أولبريشت تيتيكا عن منطق للقيم فساقهما البحث بعد جهد إلى نتائج غير مرتقبة، ولا متوَّقعة، وتتمثل في عدم وجود منطق خاص بالقيم، وأن موضوع بحثهما كان قد عولج بالتفصيل في علم شديد القِدم صار منسيا ومستهجنا، ألا وهو بلاغة فن الإقناع عند المتقدمين[51].

وربما كانت هذه النتائج غير المتوقعة والمهمة في آن، ما جعله يعمق البحث في ذلك رادًّا الاعتبار للخطابة بوجه جديد، فألف بمعية ليسي أولبريشت تيتيكا مؤلفهما الموسوم بـ" البلاغة الجديدة ، مصنف في الحجاج(La traite de l'argumentation nouvelle rhétorique,)[52] ، وينبغي الإشارة إلى أن هذه الخطابة قد جمعت بين

الأصالة والمعاصرة؛ فأخذت عناصر ومفاهيم عديدة عن البلاغة القديمة، ولكن أخْذٌ فيه روح التجديد والإحياء، ويتمثل ذلك في العناصر التالية:

- كان هدف الخطابة القديمة هو تأسيس الخطاب. أما في البلاغة الجديدة فهو تأويله و تفسيره.

- كان حقل البلاغة القديمة مقتصرا على أجناس خطابية معينة حدَّها أرسطو بالمشاجري والتثبيتي والمشاوري. أما في الخطابة الجديدة فيضم ويشمل كل خطاب تشتم منه رائحة الإقناع، كالإشهار، والأشعار، والوثائق الرسمية، والمعاهدات السياسية، بل إن وسيلة الإقناع لم تعد رهينة اللغات الطبيعية من منطوق ومكتوب، وأصبحت الصورة تلعب دورا إقناعيا تنضح به اللوحات الإشهارية، والأشرطة السينمائية، والقطع الشعرية.

- الخطابة الجديدة هي خطابة متفجرة (Eclatée)، مجزأة (Morcelée)، وصفت كذلك لأنها درست وبحثت في مجالات شتى؛ من فلسفة، ومنطق، وقانون، ولغة، وهذا ما جعل روافدها كثيرة[53].

7 - البلاغة الجديدة عند مرتاض:

لا جَرَمَ أن مصطلح "**البلاغة الجديدة**" مصطلح غربي خالص، وقد رأينا في العُلْوَان السابق كيف جعله "شايم بيرلمان" عنوانا لكتابه؛ الذي عدَّ إشارة بداية مرحلة بعث البلاغة الغربية بعد فترة ركود طويلة؛ استمرت من سقوط الإمبراطورية الرومانية إلى منتصف القرن العشرين[54] ، وكنت أتوقع -بل على يقين- أن مرتاضا لن يتجاوز المصطلح دون تعريج على هويته بكل مكوناتها الفكرية واللغوية، وهنا أعترف أن يقيني قد ضلّ، وظني قد خاب، وخالفني الصواب، وأنا الذي كنت أتدرج في مِرقاة البحث قارئا للكتاب فصلا فصلا، متلهفا للفصل الأخير منه الذي كان وسمه "**البلاغة الجديدة**"، وكنت أعتقد أنه معقِد البحث وعنقوده(أي ثمرته)، وقد فوجئت بأن الفصل ذي الثلاثين صفحة (267 - 297) قد خلا من أي إشارة للمصطلح؛ ما جعلني أعيد القراءة لعل عيني زاغت عن شيء منه، فلم أُلْفِ شيئا من ذلك.

لقد كان الفصل عبارة عن دراسة تطورية وصفية للخطابة في عصورها الزاهية، بدءا من قبيل الإسلام إلى العهد الأموي[55] ، ثم تساءل: **هل من بلاغة جديدة حقا؟** وكان الجواب تأكيدا لاستمرارية الوظيفة البلاغية، وهو رد على بعض من وصفهم بالجامعيين الذين ظنوا بأن وظيفة البلاغة لم يعد لها معنى في هذا العصر، فكما لا يُستَغنى عن قواعد النحو في إقامة الإعراب، كذلك لا يستغنى عن البلاغة في تدبيج الكلام وتزيينه[56] ، وقد مثل للبلاغة الجديدة بخطب السياسيين أمثال: عبد الناصر، وهواري بومدين، والحسن الثاني، ممن أوتي قدرة على الارتجال، كما تحدث عن الخطابة عند العلماء، ورجال الدين، والمحامين، وختم فصله –وكتابه أيضا- بمبحث وسمه بـ" **البلاغة والمناظرات السياسية في الغرب**"؛ أشاد فيه بالاهتمام الذي لازالت تحوزه على الرغم من إسقاطها من مقررات التعليم كما فعلت فرنسا مثلا؛ مستعيضين عنها بتقديم نصوص أدبية كبيرة تربى الملكة الخطابية، بلا حاجة إلى تلك القواعد المحنطة المبتورة التي تقدم للطالب خارج نصوصها وأسيقتها التداولية؛ ولذلك فإن الساسة الفرنسيين يتحدثون بطلاقة وفصاحة بخلاف الساسة العرب، وقد أرجع ذلك لأسباب منها:

– تطور التعليم في الغرب وصرامته، بسبب التكوين البيداغوجي العالي الذي يتلقاه المعلمون.

- براءة اللغات الغربية من الاستعمال العامي، فالناس عامتهم وخاصتهم يتكلمون لغة صحيحة فصيحة، مع تفاوت في درجة الفصاحة اللغوية.
- حرية التعبير والديمقراطية الحقيقية لها أثرها في بلاغة الساسة الغربيين دون خوف من محاسبة، بخلاف الساسة العرب الذين يمارسون رقابة على كلماتهم خوفا من المراقبة المحتملة، فكان النطق بالكلمات أشبه بالولادة القيصرية[57]

وقد اختتم بحثه – بل فصله وكتابه- بالدعوة إلى التفكير في طريقة بسيطة ومجدية في ضبط الألفاظ العربية؛ حتى يؤمن التحريف في نطقها، واللبس في معانيها، ممثلا لذلك باختلاف الدلالات لاختلاف الحركات، كما هي الحال بين الرَّجل والرِّجل، وبين يُحْيي، ويُحَّيِي، وبين الخُطبة، والخِطبة، وغيرها. كما أن مشكلة تفخيم الحروف العربية وترقيقها، تحتاج أيضا إلى معالجة، وهي من عيوب الخطباء، ومعالجتها تتم بضبط هذه الأمور في مرحلة التعليم الابتدائي؛ حتى ينشأ الفتيان على النطق العربي السليم.[58]

8 - مجاجة البحث: أن العلوم العربية عموما والبلاغة العربية خصوصا بحاجة إلى بعث وتجديد؛ تجديد يخدم أكثر مما يهدم، يؤهل القديم ويرفده بما استجد من نظريات لسانية وبلاغية في الدرس اللغوي الحديث بمعناه الواسع (غربي وعربي) مرتاضا قد وضع أمارات على درب تجديد البلاغة العربية، وهي في جملتها تجمع بين القديم، كموروث حضاري لا يتنازل عنه، وبين ما استجد من النظريات البلاغية العربية والغربية في العصر الحديث لا يمكن تجاهله، بلا تعصب للقديم ولا تنكر للحديث، حاديه في ذلك أمل بعث البلاغة العربية وتجديدها وتيسيرها، وإن كنا نلحظ أن الطريق مازال بعيدا فإن الأمل معقود على ما قد تجود به قابل الأيام العلمية، مع التأكيد على وجوب اجتناب النعرات العصبية الجاهلية في البحث العلمي؛ فليس حديثنا عن جهود المغاربة حطا من قدر المشارقة، -كيف وهم أهل الفضل والسبق- وإنما إضافة لبنة إلى أخرى، وشدّ يدّ على يدّ؛ حتى يتم البنيان.

هوامش البحث:

[1] ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، د - ط، عام 2005م، ص 5.

[2] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، القاهرة، 1332هـ، ص07,

[3] الرذية: الناقة الهزيلة المتروكة، التي لا تقدر أن تلحق بالركاب، يعنى أن أخبارهم مطروحة منبوذة.

[4] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1979م، الجزء الأول، ص11-12.

[5] الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه: مجيد طرّاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992م، ص147.

[6] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الأول، ص12-14.

[7] ينظر: أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1998م، ص35 وما بعدها.

[8] منير محمد خليل ندا: التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، الدراسات العليا العربية، فرع الأدب، ص344.

[9] منير محمد خليل ندا: التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، ص 470.

[10] أمين الخولي: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة، ص216.

[11] ينظر: عمر بوقمرة: المباحث المنيفة في الذب عن البلاغة العربية الشريفة، ألفا للوثائق، قسنطينة الجزائر، ط1، 2017م، ص124-125.

[12] سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى للنشر والتوزيع، الطبعة المزيدة، 1953م، 1964 ص10.

[13] الرجل مهوس بالصناعة ساخط على الزراعة، وما علم أن هم الشعوب في أيامنا هو تأمين لقمة العيش، ينظر: البلاغة العصرية واللغة العربية: سلامة موسى، ص 08.

[14] ينظر: منير محمد خليل ندا: التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث، ص63.

[15] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا- دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط2، 2010م، ص7.

[16] سورة الزخرف، بعض الآية 23.

[17] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص7- 8.

[18] المرجع نفسه، ص9.

[19] عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص9.

[20] عرف الخطيب القزويني بلاغة الكلام بأنها:" مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته". ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص20.

[21] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص 309.

[22] أبو الطيب المتنبي: ديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م، ص332.

[23] أظن أن هناك سقطا من المتن لكلمة تقديرها المزج أو المزاوجة؛ وذلك ما توحي به كلمة "بين".

[24] عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص38- 39.

[25] ينظر: عمر بوقمرة: الأفق الحجاجي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2017م، ص 68 وما بعده.

[26] ينظر: عمر بوقمرة : المباحث المنيفة في الذب عن البلاغة العربية الشريفة ، ص49 وما بعدها.

[27] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، صححه: محمد عبده، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص55.

5 ينظر: محمود أحمد نحلة: في البلاغة العربية، علم المعاني، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1 1990م، ص26-34.

[29] إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، 1992م، ط2، ص19.

[30] عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، هامش ص38.

[31] سورة الفرقان، الآية 30.

[32] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، ط1، 2000م، مج 10، ص303.

[33] ينظر: عمر بوقمرة : المباحث المنيفة في الذب عن البلاغة العربية الشريفة، ص44.

[34]ينظر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية و بيانية، دار المعارف، ط8، 1984م، ص122- 124.

[35] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص81.

[36] المرجع نفسه، ص95.

[37] المرجع نفسه، ص95 – 135.

[38] عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص 13.

[39] المرجع نفسه، ص 144.

[40] المرجع نفسه، ص144.

[41] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص163.

[42] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرآه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م، ص263.

[43] ينظر: منصور مذكور شلش الحلفي: مفهوم المعنى في التراث البلاغي عند العرب، دار الأوائل للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2012م، ص 137 – 138.

[44] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص263.

[45] ينظر: المرجع نفسه، ص263.

[46] ينظر: السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الجيل، د- ط، د - ت، ص 117- 118.

[47] عيد بلبع: التداولية البعد الثالث في سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسية للنشر والتوزيع، المنوفية، مصر، ط1، 2009م، 154.

[48] ينظر: جميل عبد المجيد: البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة د – ط، د – ت، ص 105.

[49] بلعابد عبد الحق: تداوليات الخطاب القانوني، جامعة الجزائر، مجلة اللغة والأدب، العدد 17، جانفي 2006م، ص 267.

[50] ينظر: المرجع نفسه، ص 267.

[51] ينظر: محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004م، ص 132 -133.

[52] Chaim Perleman et Lucie Olbrechts Tyteca : Traité de l'argumentation- La nouvelle rhétorique.Préface de Michel mayer-5éme édition. Edition de l'université de bruxelles 1992.

[53]ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني وبنيته الأسلوبية، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، جدار للكتاب العالمي، إربد، الأردن، ط1، عام 2008م، ص 220.

[54] ينظر: علي الشبهان: الحجاج والحقيقة وآفات التأويل (بحث في الأشكال الإستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، عام 2010م، ص64.

[55] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص267.

[56] عبد الملك مرتاض: نظرية البلاغة - متابعة لجماليات الأسلبة: إرسالا واستقبالا، ص 273.

[57] المرجع نفسه، ص 191-193.

[58] المرجع نفسه، ص295 -297.